جامعة واسط
مجلـــة كليـــة التربيـــة

العـــــدد السادس والثلاثون
الجزء الأول / آب / ٢٠١٩

بلاغة الترتيب بين السور القرآنية عند الطبرسي في تفسير مجمع البيان

م.د. رياض خلف خزي المرشدي

جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص

للنص القرآني ميزات تفرد بها ميزته عن النصوص الاخرى كالشعر والنثر بأنواعه، فأننا لا نقرأ نصاً الا وتخلله ضعف في بنائه او خلل في نسجه ،وعلى قدم هذا النص نرى ان العلماء ما زالوا يخوضون في اعماقه ليكتشفوا عما يضمه من علوم وحقائق تواكب الاجيال على مر العصور.

وتفسير مجمع البيان للعلامة الطبرسي بأجزائه العديدة يمثل مرحله في التفسير لجأ اليها طالبو العلم فقد تناول النصوص الكريمة وهو متمكن بارع من ادواته يغوص في اعماقها ليكشف الحقائق وقد لفت انتباهي طريقته في تفسير السور القرآنية كونه يبدأ النص بتعليل ترتيبه وبيان علة ذكرهِ في مكانه ليحيل القارئ الى اسرار ترتيبه ، وهو يرى الى وراء ذلك علاً بلاغيه فكان حقاً عالماً في بيان مضامين التتابع بين السور القرآنية

وقد عالج ذلك التابع والترتيب باتصال النصوص فيما بينها فقد يفصل نص تابع ما اجمل في نص سابق له او قد يكون النص خاصاً ويأتي نص آخر يعممه او يتصل النص بالنص اتصال النظير بالنظير.

Summary

The Quranic text has features that makes it unique of any other texts like poetry or prose of all kinds. We do not read a text without finding weakness in its construction or a defect within it. Although the Quranic text is old, the scholars are still looking deep in it to discover the science and facts it contains that keep pace with generations throughout the ages.

Majma' Al-Bayan by Tabarsi with its many parts represents a stage in the interpretation that the students turned to it. He took up the holy texts as a skilled master of his instruments that dives deep to uncover the facts, and his method of the interpretation of the Quranic verses has drawn my attention since he begins the text by referring to its order and stating it's the reason of its use in its place to make the reader notice the secrets of its order seeing the rhetorical reasons behind that. He truly was a scholar in stating the contents of the sequence among the Quranic verses. He dealt with that sequence and order by linking the texts with each other. A subsequent text may put in details what was outlined in a previous text, or a text may be precise and another text overgeneralize it, or two texts link with each other in a Peer - to - peer linkage.

المقدمة

يشكل النظام الترتيبي للسور القرآنية وتتابعها باباً في النص البياني يكاد يكون بعيداً عن بعض المفسرين الذين لا تحتفل تفاسيرهم ببيان معانيه وسر تتابعهِ فكثيرٌ منهم لم يشيروا اليه وان كانت تفاسيرهم ذائعه الصيت على الرغم من انه باب واسع وهو صلب اهتماماتهم.

فاذا ما اطلعنا على اقدم التفاسير نجدها تهتم في بيان معاني المفردات والقصص التاريخية فضلاً عن الإشارة الى بعض في فنون البلاغة وبيان الحلال والحرام دون الإشارة الى بلاغه الترتيب بين السور القرآنية وسر تتابعها.

ويعد تفسير الطبرسي ، مجمع البيان من اهم كتب التفسير لما له من اهميه في كشف حقائق النصوص وترتيبها وان اتكأ عديده على من سبقه و لكن تحسب له متابعته وبيانه للسر الذي يكون وراء ترتيب سور القران الكريم فهو يعده بابا مهما ينبغي الإشارة اليه والوقوف عنده وان لا يغفله المفسر.

فعندما يشرع بيان معاني السور القرآنية يستفيد في بداية تفسيره لسوره بمعنى الذي وضعت من اجله السور في مكانها وما علاقتها بما سبقها وما لحقها من سوره بهذا الامر يمكن متابعته على طول التفسير موجته ان البحث في الموضوع ذو اهميه في كشف جهد المفسر الذي يرى انا نهاية السورة لها علاقه بداية السوره التي تليها وهذه العلاقه تجعل القران كانه سوره واحده من اوله الى اخره فما اجمل في سوره فصل في اخرى وماكان خاصه في سوره تمم في ثانيه يشير اليه في نهايه نص عرف في نص بعده.

التمهيد

معنى الترتيب لغة واصطلاحاً:

رتّب الشيء، يرتبه رتوباً: ثبتَ، دامَ، عيشٌ راتب: ثابت ودائم، وامرٌ راتب أي دارٌ ثابت. [١]

والترتيب كله الشيء المقيم الثابت، يقال: يترتب عليه كذا، أي يستقر وينبني او الترتيب المراد بهِ وضع الشيء في موضعهِ على نسقٍ واستقامةٍ بصورةٍ ثابتةٍ. [٢]

ومادةُ (رتّب) في اللغة العربية قريبة الدلالة من (رتّل)؛ لأنَّ معنى: رتّلَ الكلام: أحسن تأليفه وأبانهُ وتمهّل فيه، وترتيل القراءة: التأنّي فيها والتمهّل وتبيين الحروف والحركات. [٣]

واشار الكرماني الى تقارب المعنى بين دلالتي: رتّب ورتّل، بقولهِ: (وفسّر بعضهم قوله تعالى: «أو زد عليه ورتّل القرآن ترتيلا»[٤]، أي: اقرأه على هذا الترتيب من غير تقديم وتأخير ولو حلف إنسان أن يقرأ القرآن على الترتيب لم يلزمه إلا على هذا الترتيب ، ولو نزل جملة كما اقترحوا عليه بقولهم : «لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة»[٥] لنزل على هذا الترتيب.)[٦]

إن معنى رتّب في اللغة كما هـ واضح يدل على الشيء الثابت الدائم، وهذا دليل لا يقبل الشك فكل شيء وضع في القبآن في موضعه على نسق واستقامة بصورة ثابتة لا تتحمل التغيير، وهذا الترتيب ليس مادياً فقط، أي ان السور القرآنية تلاحقت فيما بينها بل هو ترتيباً معنوياً فالمعاني في القرآن رتّبت فما أجمل منها في سورة فصّل في اخرى، وما كان خاصاً عمّم في مكان آخر.

وتحدث البلاغيون عن الترتيب، فذكر ابن وهب انَّ: (الناس ذكروا البلاغة ووصفوها بأوصاف لم تشتمل على حدها، وذكر الجاحظ كثيراً مما وصفت بهِ، وكل وصفٍ منها يقصر عن الإحاطة بحدها، وحدّها: القول المحيط بالمعنى المقصود مع اختيار الكلام وحسب النظام، لأنهُ قد يتكلم الفصيح بالكلام الحسن الآتي، ولا يحسن ترتيبهُ). [٧]

ولعلَّ الجرجاني لم يفضل هذا المصطلح في حديثهِ عن النظم، يقول: (ولم أزلْ منذ حزمت العلم انظر فيما قالـه العلمـاء فـي معنـى الفصـاحة والبلاغـة، والبيـان والبراعـة وبيـان المغـزى مـن هـذه العبـارات، ووجَدتُ المعول على أنَّ هاهنا نظامًا وترتيبًا، او تأليفًاً وتركيباً) [٨]. فالجرجاني هنا يرى ان الكلام وان كان فصيحاً فلا قيمة لهُ ان لم يكن مرتباً.

ويرى يحيى ابن حمزة العلوي (ت ٧٠٥ هج) انَّ: (علم الاعراب يؤدي مطلق المعنى لا غير ، وعلم البيان يؤدي فائدة أخرى، وهو ما يحصل من بلاغة في ذلك المعنى وحسن نظم وترتيب لهُ). [٩]

وتحدثَ ابو هلال العسكري (ت) عن الترتيب بأن: (من عَرفَ ترتيب المعاني واستعمال الالفاظ على وجوهها بلغة من اللغات ثم انتقل الى لغة اخرى تهيأ لـه فيها من صناعة الكلام مثل ما تهيأ لـه في الاولى) [١٠]

ان من يقرأ القرآن يرى ان وجوه اعجازه، التي تحدى بها العرب كثيرة، ولعل في نسقه البياني وجمال ترتيبـه وجهـاً مـن وجـوهِ الاعجـاز، فـالنظم القرآنـي نظـم مزيـد، والبـاقلاني يـرى أنَّ: (نظـم القرآن علـى تصـرف وجوههـهِ وتبـاين مذاهبـهِ، خـارج عن المعهود منـذ نظـام جميـع كلامهم، ومبـاين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله اسلوب يختص بهِ، ويتميز في تصرّفهِ عن اساليب الكلام المعتاد). [١١]

وعدّ السيوطي الترتيب من الإعجاز لأنَّ: (القرآن كما أنـه معجزٌ بحصـب فصـاحة الفاظـهِ، وشـرف معانيـهِ، فهـو ايضـاً بسـبب ترتيبـهِ ونظـم آياتـهِ، ولعـلَّ الـذين قـالوا: انّـهُ معجـزٌ بسـبب أسـلوبهِ أرادوا ذلك)[١٢].

والفراهـي (ت ١٣٤٩ هـج) ممـن أشـاروا الـى اسـلوب القرآن وترتيبـه يقـول: (وربمـا يحـط عنـدك قـدر خطيب مصقع أتى بفنون من البلاغة وأثر في النفوس بخلابة بيانه لمحض أنه ذهل عن ربط الكلام فهام من وادٍ إلـى وادٍ، مـع أنـه معذور لأنـه ألقـى خطبتـه ارتجـالاً ولـم يعمـل فيهـا النظـر والرويـة، ومـا مؤاخذاتك لذلك الخطيب إلا لأن الكلام البليغ لا يحتمل سوء الترتيب، فإذا كان الأمر كذلك، أليس من الموقن بإعجاز القرآن أن يثبت حسن نظمه وإحكام ترتيبه وتناسق آياته وسورهِ)[١٣].

انَّ في حديث اللغويين والبلاغيين ما يكشف لنا سر إعجاز هذا النص المقدّس فهو لم يترتب ترتيباٍ عشوائياً بل جاء بنظام دقيق متماسك مترابط من أولهِ الى آخرهِ دون ان تنبو لفظة فيهِ عن مكانها أو يتغير مكان سورة لتحلّ محلَّه اخرى، وبعد أن عرفنا معنى الترتيب في اللغة والاصطلاح بقي ان نتعرف الى **** الترتيب؛ هل هو توقيفي ام اجتهادي؟ ولعلَّ هذا الاشكال والقضية اختلف فيها العلماء كثيراً ولا نريد ان نعيد ما قالوه سوى الاشارة لحاجة المقام الى ذلك.

هل أنّ ترتيب سور القرآن توقيفي أم اجتهادي:

اختلف علماؤنا في ترتيب القرآن الكريم ونصوصهِ الكريمة. وقد أثارَ هذا الاختلاف جدلاً واسعاً قديماً مع أنّهم مجمعون على انَّ هذا القرآن هو ما بين دفتين دون أدنى شك أو اختلاف، ولعل اختلافهم يكمن في هل أنَّ النبي رتّبَ القرآن بتوقيفٍ منهُ انهُ اجتهد دور الصحابة من بعدهُ في ذلك؟

تتفق الآراء على انَّ ترتيب آيات القرآن كان بأمر النبي «صلّى الله عليه وآلهِ وسلّم» وتوقيفهِ فقد جاءت الروايات عنهُ «صلّى الله عليه وآلهِ وسلّم» بأنهُ: (أتاني جبرئيل فأمرني ان اضع هذه الآية في هذا الموضع من السورة: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى» [١٤] [١٥]

وروى عن مولانا الامام جعفر بن محمد الصادق «عليه السلام» أنه: (كانَ انقضاء السورة بنزولِ بسم الله الرحمن الرحيم ابتداءً للأخرى)[١٦]

ويذكر الزركشي عن القاضي ابو بكر الباقلاني قولهُ بأن: (ترتيب الآيات واجب وحكم لازم، فقد كان جبرئيل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا)[١٧].

وتحدّث الالوسي عن ذلك بقولهِ: (وأما ترتيب سور القرآن الكريم ففي كونهِ اجتهادياً او توقيفياً خلاف، والجمهور على الثاني) [١٨]

وذكرَ أبو جعفر النحّاسي: (أن السور على هذا الترتيب من رسول الله «صلّى الله عليه وآلهِ وسلّم»)[١٩]، (فمن قدَّمَ سورة او اخرها فقد افسدَ نظم القرآن)[٢٠]

إن ترتيب السور القرآنية على ما هي عليه كما يظهر هو توقيفي وليس اجتهادي كما يظن البعض، وقد تقف خلف ذلك اسباب عديدة التفت اليه الزركشي بقولهِ: (ان لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلّع على أنه توقيفي صادر عن حكيم، اولها بحسب الحروف كما في الحواميم، وثانيها لموافقة اوّل السورة لآخر ما قبلها؛ كآخر الحمد في المعنى وأوّل البقرة، وثالثها، للوزن في اللفظ كآخر " تبت " وأوّل "الإخلاص" ورابعها لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى؛ مثل والضحى و ألم نشرح. (٢١)

فالزركشي هنا يبين اساب الترتيب في المصحف وهنا ما نريد ان نوضحه في البحث فالتتابع بين السور وترتيبها كان وراءهُ اغراضاً عديدة وهذا ما أكدّهُ الطبرسي على: (أن القرآن كان على عهد رسول الله «صلّى الله عليه وآلهِ وسلّم» مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن، واستدلَ على ذلك بأن القرآن كان يدّرَس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عيَّن على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنّهُ كان يُفرض على النبي «صلّى الله عليه وآلهِ وسلّم» ويبتلى بهِ، وأن جماعته من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبي كعب زغيرهما فختموا القرآن على النبي «صلّى الله عليه وآلهِ وسلّم» عدة ختمات، كل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث) (٢٢)

إنَّ السور القرآنية تمثل نصاً متكاملاً مترابط الاجزاء مسافة لغرض وهي تشكل وحدة فكرية او موضوعية تتضمن اجزاء متناسقة فيما بينها تجتمع هذه الاجزاء وتتشابك لتصب في هذه الوحدة. (٢٣)

ومن المعلوم ان جمع القرآن وترتيبه تمّ بأمر من الله تعالى لرسولهِ الكريم «صلّى الله عليه وآلهِ وسلّم» وكانت الآيات والسور تنزل في فترة ثلاث وعشرين سنة، وأمر النبي «صلّى الله عليه وآلهِ وسلّم» كُتّاب الوحي بوضع الآية أو الآيات في الموضع الذي يُحدِدُه. (٢٤)

فيما ذُكِرَ من اقوال العلماء يتضح ان ترتيب السور القرآنية لم يكن اجتهادياً فقد كان توقيفياً من الله تعالى لنبيهِ ولعل في هذا الترتيب ما يكشف عن سر اعجاز هذا الكتاب المقدس فهو يظهر وكأنه قطعة واحدة متصل بعضه ببعض بروابط وعلاقات عديدة، وقد كشف الطبرسي في تفسيره عن اسرار

هذا الترتيب وبلاغته بين السور فقد يُجمل القرآن موضوعاً ثم يفصّله في النص الذي يليهِ وهذا ما تابعه الطبرسي في نصوص كثيرة، وقبل ان نتعرف على تلك النصوص لابد ان نعَّرِف بمعنى الاجمال والتفصيل في كتب اللغة والدلالة حتى نتابع السور القرآنية وبلاغة ترتيبها.

- الترتيب بالتفصيل بعد الاجمال:

- معنى الاجمال والتفصيل:

تحدّثَ اللغويون عن معنى الاجمال والتفصيل وبينوا الفرق بينهما فقد وردا في كثير من المباحث العربية متلازمين، فالإجمال في اللغة: الابهام وعدم الوضوح، قال الكفوي: أجمل الأمر: أبهم ومنهُ المجمل. (٢٥)

وقيل معناهُ: الإيجاز والاختصار، أجمل في الكلام ساقه موجزٌ او ذكرهُ من غير تفصيل. (٢٦)

وذكر العسكري أن معناهُ: ما يتناول الاشياء او ينبئ عن الشيء على وجه الجملة دون التفصيل (٢٧)، وهذا هو المعنى اللغوي للإجمال، وكما هو واضح فأن معناه ما كان مبهماً غير مفصّل، أما في الاصطلاح، فقد عرفهُ الجرماني بقولهِ: ما خفي المراد بهِ بحيث لا يدرَك بنفس اللفظ الا ببيان المجمل (٢٨)، وعرفه الكفوي: ما لا يوقف على المراد منه إلّا ببيان من جهة المتكلم (٢٩).

أما معنى التفصيل، فقد حدد ابن فارس معناهُ بقولهِ:

(الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء عن الشيء وإبانته عنه) (٣٠)، وذكر ابن منظور ان معنى التفصيل هو البيان (٣١).

انَّ معنى التفصيل والإجمال واضح، فكام عرّفه اللغويون أن الإجمال ما كان مبهماً غير واضح والتفصيل هو البيان أي توضيح المجمل وتفصيلهِ، ويرى السيوطي (ت ٩١١ هج) أنَّ: (أن القاعدة التي استقر بها القرآن: أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له او اطناب لإيجازِهِ او قد استقر ذلك معي في غالب سور القرآن في طويلها وقصيرها) (٣٢)، وتكون السورة اللاحقة تفصيل لما اجملته

السورة السابقة: (فمضمون الفاتحة اجمال ما يحويه القرآن مفصلاً، فقد جمعت مقاصد القرآن فهي ام القرآن، وام الكتاب، فصارت كالعنوان او براءة الاستهلال) [٣٣]. وقد اشتملت على جميع معاني القرآن: (باشتمالها على الثناء على الله بما هو اهله وعلى التعبد والامر والنهي وعلى الوعد والوعيد)[٣٤].

إن اسلوب التفصيل والإجمال: هو اسلوب بلاغي يرد فيه الكلام ابتداءً بإيجاز واحتصار لغرض بلاغي ثم يتبعه بيان وتفسير محدد بموطنٍ ويربطهما رابط معلوم [٣٥].

وتحدث *** عن اقسام الترتيب والترابط بين الورد وانواعه، فقد يكون الترابط بين موضوع السورة السابقة واللاحقة، او ما في اثناء السورتين من امور تترابط ببعضها، او وجه الربط بين آخر السورة ومطلع السورة التالية لها [٣٦].

وقد يكون هذا الترابط بين السور لفضياً وظاهراً بين اول السورة وختام ما قلها او الظاهر بتكرار اللفظ، أو بالمعنى المستفاد [٣٧]. من خلال ما تبيّن، يظهر ان هذا المبحث نال عناية الباحثين كثيراً لما يشتمل عليه من معانٍ تربط النصوص فيما بينها، بقي أن نفصّل هذين المفهومين ونتابعهما عند الطبرسي في تفسيرهِ (مجمع البيان).

إنَّ ترتيب السور القرآنية وتتابعها لم يكن ترتيباً عشوائياً بل كان لأغراض بلاغية، فما أُجمل في سورة فُصِّلَ في سورة اخرى. وهذا من البلاغة القرآنية التي تراعي بلاغة المعاني التي ارادها الله تعالى من كتابه الكريم، وقد تنبه الطبرسي الى هذا اللون من الترتيب القرآني في مواضع كثيرة، فهو يرى أنَّ القرآن أجمل اوامر عديدة في سورة الحج وفصّلها في السورة التي تليها وهي سورة المؤمنون، يقول: (ختم الله سورة الحج بأمر المكلفين في العبادة وافعال الخير على طريق الإجمال وافتتح هذه السورة بتفصيل تلك الجملة وبيان الافعال) [٣٨]. فقد ختم الله سورة الحج بقولهِ: «وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ

هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ» [٣٩]، وهو يرى أنَّ الله تعالى أجملَ: (ما أراد ان يتعبدكم بهِ من العبادات، وان لا تقتصروا على فعل الواجبات من العبادات وافعلوا غيرها من انواع البر) [٤٠]، فالقرآن في نهاية السورة وإن اشار الى بعض العبارات فهو اشار عن طريق الإجمال، وقد فصّل ذلك في مطلع سورة المؤمنون بقولهِ تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ» [٤١]. فهو هنا يفصّل ما امر بهِ في مختتم سورة الحج من الخشوع في الصلاة والإعراض عن اللغو وإيتاء الزكاة والحفاظ على أمانات العباد وأمانات الله: (فالأمانات التي بين الله تعلى وبين عباده هي العبادات كالصيام والصلاة والاغتسال وأمانات العباد مثل الودائع والحواري* والبياعات والشهادات وغيرها، وأما العهد فعلى ثلاثة اضرب أوامر الله تعالى ونذور الانسان والعقود الجارية بين الناس فيجب على الانسان الوفاء بجميع ضروب الامانات والعهود) [٤٢]، وهذا التفصيل بيّن وواضح فكأنما جاء ترتيب السورتين متوافقاً بصورة واضحة لا تحتاج الى إمعان في تفسيرها وبيان معناها لأن المقام كان يقتضي ان يجمل القرآن في سورة الحج ما أراد تفصيله في سورة المؤمنون.

ومما أُجمِلَ في سورة وفُصِّل فيما بعدها وعد الله تعالى نصر المؤمنين فقد وعد الله المجاهدين في سبيلهِ بالنصر والغلبة عن طريق الإجمال في سورة العنكبوت وفصّل هذا النصر في السورة التي تليها، يقول الطبرسي: (أجمل في آخر العنكبوت في ذكر المجاهدين ثم فصّل في هذه السورة- يعني الروم-) [٤٣]، فقد ختم الله تعالى العنكبوت بقولهِ: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ * أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٦٨) وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا * وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» [٤٤]، فالله تعالى وعد المحسنين: (بالنصر والمعونة في دنياهم) [٤٥]، ولكن لم يفصّل متى هذا النصر وما هي المعونة فقد أجمل ذلك، وفصّله في السورة التالية وهي قوله تعالى: «الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »[٤٦]، فالقرآن أجمل وعده للمسلمين في سورة العنكبوت وفصّلَه في سورة الروم، ولعلَّ في تفصيل القصة ما يوضح ذلك فقد غلبت فارس الروم وظهروا عليهم

على عهد رسول الله (ص)، ثم غلبت الروم فارس ودفعوهم عن بيت المقدس وقد فرح بذلك المؤمنون [٤٧]، وفي هذا النص من الإعجاز الغيبي ما فصّله المفسرون من أنَّ الله تعالى وعد المؤمنين بنصرهِ دون ان يفصّل في سورة العنكبوت ولكنهُ في السورة التي تليها وفي مطلعها فصّل ذلك النصر باليوم والمكان ولعل هذا ما يؤكد اخبار القرآن بالأمور المستقبلية وهي من الإعجاز.

– ولعل فيما كشَفَه الطبرسي في تفسيره لسورة البحث ما يدلُ على هذا اللون من الترتيب فهو وان يصرِّح بذلك الّا ان القارئ يكشف من دلالة النص أن الله قد أجمل في سورة السجدة ما فصّله في سورة الاحزاب، فقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيّهُ الكريم محمد (صلى الله تعالى عليه وآلهِ): (في مختتم – سورة السجدة– بالانتظار ثم أمره ان يكون في انتظارهِ متقياً، ونهاه عن طاعة الكفار هنا) [٤٨]. فقال تعالى في مختتم السورة: «وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ * فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ» [٤٩]. فالله جلَّ وعلا قال للنبي «صلّى الله عليه وآلهِ وسلّم»: (انتظر موعدي لك بالنصر على اعدائك) [٥٠]، ثم أمره ان يكون متقياً بقولهِ تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا»[٥١] . فالله هنا قال للنبي «صلّى الله عليه وآلهِ وسلّم»: (فوّض امورك الى الله حتى لا تخاف غيره، ولا ترجو إلا خيره، فهو القائم بتدبيرك والحافظ لك والمدافع عنك) [٥٢].

فأمر الله تعالى نبيه «صلّى الله عليه وآلهِ وسلّم» بالانتظار لكن لم يفصّل ما سيؤول اليه الانتظار، وهو اتباع ما يوصى اليه من ربّهِ والتوكل عليه لأنه الحافظ المدافع عنه في كل اموره، اذ ان الله سبحانه امر نبيه بأن يكون من المنتظرين مجملاً ذلك، ولكنه في النص التالي امره ان يكون متقياً في انتظارهِ.

في سورة العصر أجمل القرآن جميع ما يحتاج اليه الناس علماً وعملاً ثم فصّلَ الله تعالى في السورة التي تليها –سورة الهمزة– ما أجمله في سورة العصر، وقد التفت الطبرسي الى ذلك بقولهِ: (أجمل الله سبحانهُ في تلك السورة –العصر– أن الانسان لفي خسر وفصّل في هذه السورة تلك الجملة) [٥٣]،

ففي سورة العصر أحاط القرآن بالكثير من الامور إحاطة شمولية بقوله تعالى: «وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ» (٥٤)، ففي (هذه السورة اعظم دلالة على إعجاز القرآن، ألا ترى انها مع قلة حروفها تدل على جميع ما يحتاج الناس إليهِ في الدين علماً وعملاً وفي وجوب التواصي بالحق والصبر)(٥٥)، ثم اتبعها الله تعالى بسورة الهمزة، وهي قوله تعالى: «وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ *إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ» (٥٩)

ففي هذه السورة تفصيل لما أجمله الله تعالى في سورة العصر، ففيها وعيد لكل مغتاب مطعّان وجامع للمال بغير ما امره الله أن ينفقهُ، فيتلقى عند ممددة أي سواري طويلة، فما أجمله الله تعالى في سورة العصر لما عبّر عنها الطبرسي بالجملة جاءت سورة الهمزة التالية لها بتفصيل تلك الجملة تفصيلاً واضحاً.

- الترتيب بذكر الخاص بعد العام:

من المباحث البلاغية التي تحدث عنها البلاغيون كثيراً، والغرض البلاغي منها هو التنبيه على فضل الخاص وزيادة التنويه بشأنه حتى كأنه ليس من جنس العام، ومن امثلته قوله تعالى: «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ» (٦٠)، فقد خصَّ الله الصلاة الوسطى أي صلاة العصر بالذكر مع انها داخلة في عموم الصلوات تنبيهاً على فضلها الخاص حتى انها لفضلها جنس آخر مغاير لما قبلها فالغرض البلاغي من هذا الاطناب التنويه بشأن الخاص. (٦١)

وقد أشار الطبرسي الى هذا اللون من الاطناب وبلاغته وهو يفسِّر سورة يوسف فقد ذكر الله سبحانه وتعالى العديد من القصص لأنبياء في عصور مختلفة عموماً في سورة هود ثم خصَّ يوسف بعدها بسورة خاصة، قال الطبرسي: (لما ختم الله سبحانهُ سورة ثمود بذكر قصص أنباء الرسل، افتتح هذه السورة بأن من تلك القصص قصة يوسف (عليه السلام) وأنها من أحسن القصص) (٦٢)، فقد

ختم الله سبحانه وتعالى سورة هود بقولهِ: «وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ» [٦٣]، أي: (وكل القصص نقص عليك من أخبارهم) [٦٤]، وقد خصّ الله جلَّ وعلا يوسف في السورة التي تليها بقولهِ تعالى: « الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ * إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ»

اذ قال يوسف لإبيه يا ابتِ إني رأيتُ احد عشر كوكباً شمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)) [٦٥] فالله سبحانهُ وإن سرد بعض القصص في سورة هود الا انه خص يوسف (عليه السلام)) هنا بسورة خاصة إذ (ابتدأ سبحانهُ بقصة يوسف (عليه السلام). [٦٦]

وفي مجيء سورة يوسف بعد سورة هود ما يدلُّ على اهتمام القرأن بهذه القصة فالله سبحانه اورد حديثة عند الانبياء عامة في سورة هود ثم اتبعها بذكر نبي الله يوسف (عليه السلام) بسورة خاصة ولعل في ذلك اهتماماً واضحاً بتلك القصة فقد خص سورة ...

و ومما خص به الله سبحانه وتعالى نبينا الكريم ذكره بسورة خاصة بعد ان تحدث عن الرسل عموماً في سورة سابقة لها فقد جاءت سورة المزمل بعد سورة الجن وهي من مجيء الخاص بعد العام لفضلهِ، وقد اشار الى ذلك الطبرسي بقولهِ (لّما ختمَ الله سورة الجن بذكر الرسل اختتم هذه السورة بذكر نبينا (صلى الله عليه واله وسلم) (خاتم الرسل)[٦٧] فقد ختم الله سورة الجن بذكر الرسل عموماً قال تعالى(عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) [٦٨] والله تعالى : (يعني الرسل فإنه يستدل على نبوتخم يخبروا بالغيب لتكون اية معجزة لهم)[٦٩] اما سورة المزمل فقد افتتحها بقولهِ تعالى : (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)[٧٠] **ومعناه** (يا ايها المزمل بثيابه، المتلفلف بها، وقيل معناه : المزمل بعباءة ، النبوة اي المتحمل لأثقالها)[٧١] فالتخصيص في هذه السورة واضح للنبي (صلى الله عليه واله وسلم) دون غيره

من الانبياء وما خصصه الله في هذه السورة الا لفضله بعد ان تحدث في نهاية سورة الجن عن جميع الرّسل وهذا الترتيب لم يكن عاماً بل قصد به، الله تعالى ..... وهو فضل النبي (ص) على غيره من الانبياء ومكانته.

ومما استوقف الطبرسي الترتيب بين سورتي الاعراف والانفال وهو يرى ان موضع السورتين جاء بغاية كشف عنها وقد ذكر بأن الله : (لمّا خّصّ في سورة الاعراف قصص الانبياء افتتح سورة الانفال بالامر بطاعتهِ وبيان ما جرى بينه وبين قومه) [٧٢] فقد كانت نهاية سورة الاعراف فيها حديث عن الانبياء (عليهم السلام) وهو قوله تعالى : (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ)[٧٣]

واراد القران بذلك انْ : (لا تقولا يوم القيامة إن كنا غافلين عَما ..... الله من الميثاق على لسان الانبياء)[٧٤] ثم افتتح القرأن سورة الانفال بالامر بطاعة النبي بقولهِ تعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)[٧٥] فكما هو ظاهر مطلع السورة ومعناها : (يسألك يا محمد جماعة من اصحابك عن الانفال واختلف المفسرين في الانفال ...)[٧٦]

فالسورتين، جاءتا بالترتيب كالخزنة الواحدة تلو الاخرى، فبعد أنْ تحدث الله سبحانه وتعالى عن الانبياء في نهاية سورة الاعرا افتتح هذهِ السورة الانفال مخصصاً ذكر النبي (صلى الله عليه واله وسلم) دن غيرهِ وهو لفضلهِ واهمية ما اراد ذكرهُ تعالى في هذه السورة.

وقد يأتي الترتيب عكسياً فقد يأتي العام بعد الخاص ولعلّ (الغرضَ من ذلك هو إفاق العموم مع ذكر العناية بشأن العام، نحو لوله تعالى (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)[٧٧] فلفظ (لي ولوالدي) زائد في الاية لدخول معناه في عموم المؤمنين والمؤمنات، فهذان اللفظان (المؤمنين والمؤمنات) لفظان عامان يدخل في عمومها من ذكر قبل ذلك اي (لي ولوالدي)

لإفادة العموم مع العناية به لذكرهِ مرتين ..... تحت العام)[٧٨] فالخاص قد يذكر بعد العام للعناية بهِ ولفضلهِ وقد يذكر العام بعد الخاص لإفادة العموم والاهتمام بالعام ايضا، وقد تنبه لذلك الطبرسي وهو يفسر سورة النساء، ويعتقد ان الله : (لمّا ختم السورة التي ذكر فيها آل عمران بالامر بالتقوى ، افتتح هذه السورة به ، الا ان هناك خصّ به ، المؤمنين وعَممَ بهِ ها هنا سائر المكلفين)[٧٩] فقد ختم الله سبحانه وتعالى سورة آل عمران بقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[٨٠] ففي ختام هذه السورة دعوة منه وامرحلّ وعلا للمؤمنين و: (حثّ على الصبر والطاعة ولزوم الدين في الجهاد في سبيل الله)[٨١] وهو امر للمؤمنين خصوصاً دون غيرهم بينما افتتح السورة التي تليها بذكر عامة الناس اذ قال تعالى

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)[٨٢] فالخطاب في مفتتح السورة كما هو واضح (خطاب للمكلفين من جميع البشر)[٨٣] اذ امر الله تعالى سائر الخلق من الناس بالتقوى في حين ختم سورة ال عمران بالامر بالتقوى للمؤمنين دون غيرهم، وهذا عن ذكر العام بعد الخاص للعناية به، دون ان نفضل حق الخاص والاهتمام به، وقد التفت الى ذلك السيوطي اي لترتيب السورتين ويرى انهُ: (من وجوه ترتيب السور وهو من انواع البديع الذي يستمر يسمى تشابه الاطراف)[٨٤] ان طرق ..... القرآني تكشف انَّ السور القرآنية رتبت وفق نظام دقيق تتصل اجزائها فيما بينها الواحد بعد الآخر وهذا الترتيب جاء لأغراض وبأشكال مختلفة فمرة يفصل القرآن ما اجمل واخرى يذكر الخاص بعد العام لفضله ومرة عكس ذلك ، وقد يأتي الترتيب لاتصال النظير بالنظير بالسورة بعد الاخرى ، ومن هذا نلاحظ في البحث الاتي :-

الترتيب بأتصال النظير بالنظير :-

قد يكون الترتيب بين السور القرأنية هو اكمال لما ختمت به السورة واتصالها بالتي تليها وكأنها تتصل اتصال النظير بالنظير اي الشبه بما يشبههُ، وهذا اللون من التتابع ورد بين سور عديدة وقد اشار اليها الطبرسي، فقد تحقق ذلك باللفظ والمعنى بين سورتين هما الطور والنجم، اذ : (افتتح الله

سبحانه هذه السورة – سورة النجم – بذكر النبي (صلى الله عليه واله وسلم) كما ختم بذكرهِ سورة الطور وحتى اتصلت بها اتصال النظير بالنظير) [٨٥] اذ ختم الله سبحانه سورة الطور بقوله تعالى : ((وإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ))[٨٦] فقد ختمت هذه السورة بذكره (صلى الله عليه وال وسلم) وامره بالصبر اذ قال الله تعالى له (يا محمد اصبر (لحكم ربك) الذي حكم به والزمك التسليم له الى ان يقع عليهم العذاب الذي حكمنا عليهم)[٨٧] في حين افتتح سورة النجم بذكره، قال تعالى : ((وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ))[٨٨] اذا تحدث عن النبي وانه اي : (النبي ما عدل عن الحق وما فارق الهدى الى الضلال وما غوى فيما يؤديه اليكم)[٨٩]، وقد اتصلت السورتين مع بعضهما اتصال النظير بالنظير فكأنما هذه السورة هي نظيرة لسابقتها وقد رتبت السورتان وفق نظام قرآني محكم وفي مشهد آخر يصور احوال الساعة تتصل سورتان مترتبتان الواحدة بعد الاخرى مظهر اتصال النظير بالنظير فقد اتصلت سورة التكوير بسورة الانفطار، اذ لما كانت سورة التكوير: (المتقدمة في ذكر اهوال يوم القيامة افتتح سبحانه هذه السورة بمثل ذلك لتتصل بها اتصال النظير بالنظير)[٩٠]، فقد كانت نهاية سورة التكوير بقوله تعالى : ((وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ))[٩١] ففي نهاية السورة : (اخبر سبحانه عن القيامة وشدائدها، وصحف الاعمال التي كتبت الملائكة فيها اعمال اهلها من خير او شر ليقرأها اصحابها)[٩٢] وفيها تفصيل كامل لأحوال القيامة ثم تأتي بعدها سورة الانفطار متصلة وتبدأ بما ختمت به سورة التكوير، اذ قال تعالى : ((إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ))[٩٣]، ففي هذه السورة تتابع لما انتهت به السورة التي سبقتها، اذ يتحدث القرآن عن اهوال يوم القيامة ففيها تشقق السماء وانفجار البحار وتبعثر القبور، وعندئذ : (ينبؤ الانسان بما قدم واخر، اي ما قدمت من خير او شر)[٩٤] وفي هذا الاتصال يتضح لنا الترتيب القرآني بين السور وهو تتابع

للمعنى ودلالة كل نص مع سابقهِ، اذ اكملت سورة الانفطار ما ختمت به سورة التكوير واتصلت بها وكأنها هي.

وتتابع المشاهد القرآنية في بيان احوال القيامة سورة بعد اخرى فقد اتصلت سورة المطففين بالانشقاق اتصال النظير بالنظير ، وقد كشف الطبرسي عن هذا الاتصال بقوله : (ختم الله سبحانه تلك السورة – المطففين – بذكر احوال القيامة وافتتح هذه السورة بمثل ذلك فأتصلت بها اتصال النظير بالنظير) [٩٥] فسورة المطففين تحكي احوال الناس يوم القيامة في نهايتها وهي تصور احوال المؤمنين والكفار، فقال تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)) [٩٦] ، ففي هذا النص يتجلى وعد رب العالمين للمؤمنين ووعيده للكفار فسوف يجازيهم ربهم : (على كفرهم واستهزائهم بالمؤمنين ما يستحقونه من اليم العذاب)[٩٧] وجاءت بعدها سورة الانشقاق لتتصل بها اتصالاً ترتيبياً كأنها نظيرة لها لتتحدث عن احوال المؤمنين والكافرين، فقال تعالى : ((إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ(٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ(٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا(٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا)[٩٨] ففي هذه السورة جاءت مناظرة لسابقتها التي تحدثت عن حال الفرقين ففيها وصف الذي : (يدخل النار ويعذب بها، ويلزم النار معذباً على وجه التأبيد)[٩٩].

فهذا حال الذين لم يصدقوا النبوة ويؤمنوا بما جاء بها ان يخلدوا في نار جهنم صاغرين وفي التأكيد على ذلك وردت سورتان متتابعتان ومترتبتان لتصورا ذلك المشهد المفزع وقد اتصلت الواحدة بالاخرى اتصال النظير بالنظير، كما هو واضح من معاني السورتين ومن السور الاخرى التي اتصلت فيما بينها اتصال النظير بالنظير سورتي النور والفرقان، ويصرح الطبرسي بالنصوص القرآنية

التي تحمل معنى هذا الاتصال وهو يفسر مفتتح سورة الفرقان بقوله : (اتصلت هذه السورة بسورة النور اتصال النظير بالنظير فأن مختتم تلك السورة تضمن : ((ان لله ما في السموات والارض)) ، وانه بكل شيء عليم ومفتتح هذه السورة ان ((له ما في السموات والارض)) سبحانه من قدير)[١٠٠]، فالظاهر من نهاية سورة النور قوله تعالى : ((أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))[١٠١]، اي ان الله جل وعلا : (له التصرف في جميع ذلك ولا يجوز لأحد الاعتراض عليه ولا مخالفة امره فليس للعبد ان يخالف امر مالكه)[١٠٢]، وهذا المعنى القرآني حمله مفتتح سورة الفرقان، اذ قال تعالى : ((تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢))[١٠٣]، ففي هذه السورة تفصيل لقدرته وانه : (تقدس وجل لم يزل عليه من الصفات فلا يشاركهُ فيها غيرهُ مما خلق)[١٠٤].

ان هذا الترتيب بين السورتين لم يكن ترتيباً زمنياً بل جاء مرتباً من الله جل وعلا على قلب نبيهِ (صلى الله عليه واله وسلم) فقد اتصلت السورتان اتصال النظير بالنظير بالمعنى الذي تحملانه.

الخاتمة :

ان ترتيب السور القرآنية لم يكن ترتيباً عشوائياً بل جاء متناسباً متناسقاً يرتبط بعضه ببعض كالبنات في البناء فهي تتابع فيما بينها لتظهر المكان وكأنه قطعة هندسية نظمها ورتبها خالق قادر.

ولعل وراء ذلك الترتيب معان كثيرة لم تكن ظاهرة الا لمن تبحر في علوم الكتاب المقدس فهو من يستطيع ان يغوص في دواخلها ليبين لها الحقائق التي تضمنتها، فالترتيب في مقاربة النصوص فيما بينها لم يكن امراً طارئاً على النصوص بل هو من اسرار اعجاز هذا الكتاب المقدس.

لقد كشف الطبرسي ان وراء هذا النسق العجيب والترتيب لسور القران اسرار بلاغية ولطائف بيانية اجاد كثيراً في بيانها وكان من القلائل الذين تبحروا في مضامينها.

فقد فصل القرآن ما اجمل في مكان ليوضح ان الحقائق الدقيقة وان جاءت على سبيل الايجاز واللمحة فأن هناك نصوص تفصلها وقد يكون الخاص في مكان قد عمم في آخر، او قد ترتب السور القرآنية لتكون متصلة اتصال النظير بالنظير.

الهوامش :

١. لسان العرب ، ابن منظور / ٢١٠/٤.
٢. تاج العروس ، الزبيدي /١ / ٥١٥.
٣. لسان العرب ، ابن منظور / ٥ / ١٨٠.
٤. المزمل ، ٤.
٥. الفرقان ، ٣٢.
٦. اسرار التكرار في القرآن / ٦٩.
٧. البرهان في وجوه البيان / ١٢٩.
٨. دلائل الاعجاز ، الجرجاني / ٣٤.
٩. الطراز ، العلوي / ٩٦.
١٠. الصناعتين ، العسكري / ٨٤.
١١. اعجاز القرآن ، الباقلاني / ٣٥.
١٢. الاتقان ، السيوطي / ٢ / ٣٢٣.
١٣. دلائل النظام ، الفراهي / ٣٩ .
١٤. النحل ، ٩٠.
١٥. مسند احمد /٤/ ٢١٨.
١٦. تفسير العياشي ، العياشي /١/ ٣٤.
١٧. البرهان ، الزركشي /١/١٨١.
١٨. روح المعاني ، الالوسي /١ / ٦٢.
١٩. الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، النحاس /١٥٨.
٢٠. الاتقان ، السيوطي / ١ / ٢١٧.
٢١. البرهان ، الزركشي / ١ / ٢٦٠.
٢٢. مجمع البيان ، ١ / ٤٣.
٢٣. البلاغة الحديثة في ضوء المنهج القرآني ، البستاني / ١٦٦.
٢٤. تأريخ القرآن ، الصغير / ٨٤.
٢٥. المفردات ، الاصفهاني / ٥٤.
٢٦. معجم اللغة العربية المعاصرة ، د. احمد مختار عمر، ١ / ٣٩٧.
٢٧. الفروق اللغوية ، العسكري / ٥٨.
٢٨. التعريفات ، الجرجاني / ٢٠٤.
٢٩. الكليات ، الكفوي ، ٤٢.
٣٠. معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، ٥٠٥/٤.

٣١. لسان العرب ، ابن منظور، ١١ / ٥٤٢.
٣٢. تناسق الدرر في تناسب السور، السيوطي/٦٥.
٣٣. المصدر نفسه ، ٦١.
٣٤. الكشاف ، الزمخشري، ١ / ٤٥.
٣٥. اسلوب التفصيل بعد الاجمال اغراضه في القرآن الكريم، هاني خضر ، ٨٤
٣٦. في تفسير القران واسلوبه المعجز علميا وبيانيا ، نور الدين العتر ، ٤٥
٣٧. مباحث في التفسير الموضوعي ، مصطفى مسلم ، ٨٢
٣٨. مجمع البيان ، ٧/ ١٥٦
٣٩. الحج / ٧٨
٤٠. مجمع البيان ، ١٥٤/٧
٤١. المؤمنون ، ١_٤
٤٢. مجمع البيان ، ٧/ ١٥٨
٤٣. مجمع البيان ، ٨/ ٤٥٩
٤٤. العنكبوت ، ٦٩
٤٥. مجمع البيان ، ٤٥٨/٨
٤٦. الروم / ١_٦
٤٧. ينظر : تفصيل القصة ، مجمع البيان ، ٨/ ٤٦٠
٤٨. مجمع البيان ، ٨/ ٥٢٤
٤٩. السجدة / ٢٨_٣٠
٥٠. مجمع البيان ، ٨/ ٥٢٣
٥١. الاحزاب / ١_٣
٥٢. مجمع البيان ، ٨/ ٥٢٦
٥٣. مجمع البيان ، ١٠/ ٨١٦
٥٤. العصر ، ١ – ٣.
٥٥. مجمع البيان ، ١٠ / ٨١٥.
٥٦. الهمزه ، ١–٩.
٥٧. البقرة ، ٢٣٨.
٥٨. علم المعاني ، د. عبد العزيز عتيق، ١٥٨.
٥٩. مجمع البيان ، ٥ / ٣١٥.
٦٠. هود ، ١٢٠.
٦١. مجمع البيان ، ٥ / ٣١٢.
٦٢. يوسف / ١–٤.

٦٣. مجمع البيان ٥ / ٣١٩.
٦٤. مجمع البيان ، ١٠ /٥٦٥.
٦٥. الجن ، ٢٦ – ٢٨.
٦٦. مجمع البيان ، ١٠/٥٦٣.
٦٧. المزمل ، ١ – ٤.
٦٨. مجمع البيان ، ١٠ / ٥٦٨.
٦٩. مجمع البيان ، ٤ / ٧٩٤.
٧٠. الاعراف ، ١٧٢ – ١٧٣.
٧١. مجمع البيان ، ٤ / ٧٦٧.
٧٢. الانفال / ١.
٧٣. مجمع البيان ، ٧٩٥/٤.
٧٤. سورة نوح ، ٢٨.
٧٥. علم المعاني ، عبد العزيز عتيق / ١٥٩.
٧٦. مجمع البيان ، ٣ /٣.
٧٧. آل عمران / ٢٠٠.
٧٨. مجمع البيان ، ٩١٨/٢.
٧٩. النساء ، ١.
٨٠. مجمع البيان ، ٥/٣.
٨١. تناسق الدرر في تناسب السور، السيوطي ، ٧٦.
٨٢. مجمع البيان ، ٢٥٨/٩.
٨٣. الطور ٤٧ – ٤٨ – ٤٩.
٨٤. مجمع البيان ، ٩ / ٢٥٧.
٨٥. النجم ١–٥.
٨٦. مجمع البيان ، ٩ / ٢٦١.
٨٧. مجمع البيان ، ١٠/ ٦٧٩.
٨٨. التكوير ، ١٠ – ١٤.
٨٩. مجمع البيان ، ١٠ / ٦٧٣.
٩٠. الانفطار ، ١ – ٥ .
٩١. مجمع البيان ، ١٠ / ٦٨٢.
٩٢. مجمع البيان ، ١٠ / ٦٩٥.
٩٣. المطففين ، ٢٩ – ٣٦ .
٩٤. مجمع البيان ، ١٠ – ٦٩٤.

٩٥. الانشقاق ، ١ – ١٢.
٩٦. مجمع البيان ، ١٠ / ٧٠٠.
٩٧. مجمع البيان ، ٧ / ٢٥٠.
٩٨. النور ، ٦٤.
٩٩. مجمع البيان ، ٧ / ٢٤٩.
١٠٠. الفرقان ، ١ – ٢.
١٠١. مجمع البيان ، ٧ / ٢٥٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، مكتبة التراث العربي ، القاهرة، (د – ت).
- اسرار التكرار في القرآن ، المسمى : البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، دراسة وتحقيق : عبد القادر احمد عطا ، دار الفضيلة، القاهرة، (د – ت).
- اعجاز القرآن، ابو بكر ابن عمرالباقلاني، تحقيق : احمد صقر، دار المعارف، مصر،١٩٨١م.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد ابن عبد الله الزركشي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١ ، ١٩٩٠م.
- البرهان في وجوه البيان، ابن وهب ابو الحسن اسحاق ابن سليمان، تقديم وتحقيق، د. حثني محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٦٩م.
- البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الاسلامي : د. محمود البستاني، دار الفقه، قم ، ط١، ١٣٨٢هـ.ج.
- تأريخ القرآن ، د. محمد حسين على الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١٩٨٤،١م.
- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني(٨١٦هـ)، مؤسسة التاريخ العربي،بيروت، لبنان ، ط١، ٢٠٠٣م.
- تفسير العياشي : ابو النصر، محمد ابن مسعود العياشي(ت ٣٢٠هـ) تصحيح وتعليق: هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة الاعلمي، بيروت ، لبنان (د – ت).
- تناسق الدرر في تناسب السور، دراسة وتحقيق : عبد القادر احمد عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط١، ١٩٨٦م.
- جماليات الترتيب في النص القرآني، ترتيب البنية : القصصية ، التصويرية، الحجاجية، د. صلاح عباده، مكتبة الاداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٥م.
- دلائل الاعجاز ، الجرجاني، تحقيق : محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٠م.

- دلائل النظام ، عبد الحميد الفراهي الهندي (ت ١٣٤٩هـ) جمع وترتيب، بدر الدين الاصلاحي، المطبعة الحميدية، الهند ، ط١ ، ١٣٨٨هـ.
- روح المعاني في تفسير القران الكريم والسبع المثاني، ابو الفضل محمود شهاب الدين الحسيني الالوسي، (ت ١٢٧٠ هـ) ، تصحيح : عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٥م.
- الصناعتين، ابو هلال العسكري، حققه وضبطه، د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط٢، ١٩٨٩م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت ، صيدا ، لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.
- علم المعاني : د. عبد العزيز عتيق، دار الافاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- الفروق اللغوية ، ابو هلال العسكري، قم – ايران ، ط١، ١٤١٢هـ.
- في تفسير القران واسلوبه المعجز علمياً وبيانياً، د. نور الدين العتر، مطبعة الصباح، دمشق ، ط٢، ١٩٩٩م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل ووجوه التأويل : جار الله الزمخشري، تعليق : خليل مأمون شيحه، دار المعرفة، بيروت ، لبنان، ط٢، ٢٠٠٥م.
- الكليات : معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : ايوب ابن موسى الكفوي الحنفي (ت ١٠٩٤ هـ) تحقيق : عدنان درويش ، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت ، (د – ت).
- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط٢، ٢٠٠٥م.
- مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم ، دار القلم، دمشق، ط٥، ٢٠٠٧.
- مجمع البيان في تفسير القران : الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٦م .
- مسند احمد : احمد بن حنبل (٢٤١ هـ) ، شرحه ووضع فهارسه : احمد محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، ط٤ ، (د_ت) .
- معجم اللغة العربية المعاصرة ، د. احمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١١ ، ٢٠٠٨م .
- معجم مقاييس اللغة : احمد بن فارس (٣٩٥هـ) اعتنى به : محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي، بيروت ، ط١، ٢٠٠٠م.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ)، ضبط وتحقيق: محمد خليل ، دار المعرفة، بيروت ، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم : ابو جعفر النحاس، احمد بن محمد بن اسماعيل المرادي النحوي (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق : د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١ ، ١٤٠٨هـ.

الرسائل والاطاريح :

اسلوب التفصيل والاجمال واغراضه في القرآن الكريم، رسالة ماجستير: أعداد هاني خضر مصطفى ابو خضر، اشراف :د. عوده عبد الله ، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، نابلس ، ٢٠١٢م.